

مداخلات لغوية معاني (إنما) أم معاني الحصر (1) أبو أوس إبراهيم الشمسسان

تركبت (إنما) من (إنّ) الداخلة على الجملة الاسمية لتأكيد علاقة ركني الإسناد، ومن (ت) تكف (إنّ) عن العمل فلا يكون لها تأثير لفظي في الاسم فيعود مبتدأ كما كان؛ ولكن ازدادت فضل تأكيد بأن حصرت أحد ركني الإسناد في الآخر، وهو أمر اقتضى أن يلزم والمحصور فيه موقعيهما في التركيب، وبكف (إنّ) عن العمل زال اختصاصها بالدخول الاسمية فدخلت على الجملة الفعلية أيضًا، ودلالة (إنما) هي الحصر في الأصل، وهم جدال؛ ولكن السياق قد يتضمن ما يخرجها من دلالتها الحصرية بشيء من التوسع كد همزة الاستفهام التي قد تدل في سياق على غير الاستفهام من العتاب والتوبيخ وال هذه المسألة الدكتور عادل حسني يوسف الأستاذ المشارك في (قسم اللغة العربية- الملك سعود) فكتب بحثًا قيّمًا عنوانه: «دائرة المعاني في (إنما) بين الكسب والهدر» بحثه هذا إلى أن لهذا الحرف معاني مختلفة تلتبس من السياق ومن الخير اكتسابها الباحث الكريم بالإشارة إلى جهود العلماء في درس هذه الأداة ليدون جملة من الملاد جهود النحويين عنيت بإعراب الأداة إعمالها أو إهمالها، ومنها أنّ جهود الجرجاني في إهدرت، ومنها أن المحدثين أهدروا رأي الفقهاء والأصوليين، وأنهم حاولوا ردّ الآراء إلى تخرج (إنما) عن معنى الحصر، من أجل ذلك رأى الدكتور الكريم أن يجلي المسألة فأدار محاور؛ الأول: عرض رأي القدماء من نحويين وغيرهم، والثاني: موقف عبد القاهر ملا. النظم في مقاربتة ل(إنما) وتذوقه لشواهد، ومعه من يشبهه من أهل التفسير. والث أصول الفقه.

أورد الدكتور في المحور الأول قول السيوطي عن (إنما): «الجمهور أنها للحصر، وأنكر أبوحيّان» (2)، ويرد الدكتور قول السيوطي الجمهور يعدها للحصر؛ مستدلًا بأن سيبوي التحقير، وبأن ابن السراج تابع سيبويه، وأورد قول البطليلوسي إن لها معنيين عند البد والاقتصار، وذكر أن الجرجاني أورد لها معاني عديدة، وقال الدكتور بعد ذلك «وأظن أنّ الآراء كاف لامتحان كلام السيوطي، وبيان أنه ليس في هذه الآراء، ما يعينه على التد قاله» (ص9)، والحقّ عندي أنّ هذا القدر من الآراء، لقلتها، لا يخلّ بما قاله السيوطي الجمهور، مع أنّ هذه الآراء - إذا أثبتت ل(إنما) معنى غير الحصر- لا تنكر الحصر؛ ولذلك في ردّ اقتصار السيوطي على إنكار أبي حيّان معنى الحصر في (إنما)، فأبو حيّان وإن أ: الحصر ذكر إشعارها بالحصر وجاء بمعانٍ أخرى، والمتأمل لقول السيوطي يراه يذكر أنّ ال

معنى الحصر؛ ولكنه لا يعني بالضرورة نفيه أنهم يرون استعمالها في غير الحصر؛ وم بإهمال ذكر الحصر لـ(إنما) في كتاب سيبويه هو استدلال بدليل عديمي، فتركه الإشاره لا يعني أنه لا يراها كذلك، فقد فات سيبويه من الأبنية ما استدركه لاحقوه، والمود من نص الكتاب نص واحد جاء في سياق بيان حكم رفع الفعل أو نصبه بعد (حتى)، إذ سياق النفي، وكذلك ما هو مثله من التقليل، وهو معنى يمكن أن يستفاد من دلالة فالمعنى المختلف هو للحصر بـ(إنما) وليس لها نفسها، كما يكون للاستفهام غير م أداة الاستفهام عن معنى الاستفهام. وكما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي من د تصديق يخرج الحصر إلى معنى التقليل أو التحقير.

وشرح السيرافي نص سيبويه فذكر «أنّ (إنما) تكون على وجهين: أحدهما تحقير الشي عليه»(شرح الكتاب، 3: 215). ومراجعة استعمال الأداة في لغة الكتاب نفسه لا تبيّن بل للحصر. ومن أمثلة ذلك قول سيبويه عن الأفعال: «وإنما ضارعت أسماء الفاعلين عبدالله لَيَفْعَلْ، فيوافق قولك: لفاعل»(الكتاب، ص14)، وقوله عن الأفعال «وإنما ه ترى أنّ الفعل لا بدّ له من الاسم»(الكتاب، ص21)، وقوله «وأما يشكر فإّنه لا يكون وإنما يكون صفة وهو فعل»(الكتاب، ص22)، وقوله «وإنما يخرج التأنيث من التذكير، وقوله «وقولهم أسطاع يُسْطِيعُ، وإنما هي أطاع يُطِيعُ»(الكتاب، ص25). فكل هذه ال معنى الحصر العام؛ وإن أمكن أن نفهم من بعضها معاني أخرى للحصر مثل الإضراب يكون صفة وهو فعل، فالمعنى: بل يكون صفة وهو فعل، وآية دلالة (إنما) على الد مواضعها السابقة أنّا يمكن إحلال (ما) النافية و(إلا) محلها.

*** **

(1) نشر البحث في مجلة الدراية (كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، ع ص2701-2734. والجدير بالذكر أنّ أ.د. مها بنت صالح بن عبدالرحمن الميمان درست «(إنما) في السياق: التركيب والدلالة»، نشر في مجلة الدراسات اللغوية (مركز الملك والدراسات الإسلامية) المجلد الخامس العدد الرابع الصادر في شوال-ذي الحجة 424 الأستاذة عزة علي الشدوي الغامدي المحاضرة في قسم اللغة العربية دراسة عميقة . معانيها، وهذا في رسالتها للماجستير بإشراف أ.د. وسمية عبدالمحسن المنصور وعذ والتكثير في العربية: دراسة نحوية تطبيقية) عام 1426-1427هـ.

(2) ذكر الدكتور أنه في الأشباه والنظائر، 7: 224. والصواب أنه في معترك الأقران، فيه «(إنما) الجمهور على أنها للحصر، فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم، وأنكر قوم إذ حيان». وأمّا النص الآخر فليس في معترك الأقران كما أثبت الدكتور بل في (همع الو